تَرَكْنَا بها أَوْصَالَ عُتْبَةَ وابْنَهُ و عَمْرًا أَبَا جَهْل تَرَكْنَاهُ ثاويا
عَصَيْتُمْ رسولَ الله أفٌّ لِدِينِكُمْ و أَمْرِكُمُ السَّيْءِ الذي كانَ غاويا
فإنّي وإنْ عَنَّفْتُمُوني لَقَائلٌ فِدًا لرسولِ اللّهِ أَهْلِي وَ مَالِيا
أَطَعْنَاهُ لم نَعْدِلْهُ فينا بِغَيْرِهِ شِهابًا لَنَا في ظُلْمَةِ الليل هادِيا [1]

وقد اضطرب رُواة السِّيرة في نسبة هاتين القطعتين الأخيرتين بين ابن رواحة وكعب بن مالك . على أننا نرى فيهما ، ولا سيما في القطعة الأخيرة ، تصديقًا للحُكم الذي ورد في كتاب الأغاني في المقارنة بين حسّان وكعب من ناحيةٍ وابن رواحة من ناحية أخرى ، فهو وإن كان يتوعَّد أبا سفيان في قوةٍ واعتداد فإننا نراه يُعَيِّرُ المشركين بكفرهم وضلالهم ، ثم يعبر عن إخلاصه و ولائه للرّسول حتى إنه يفديه بأهله وماله . وهذا هو ما يجعلنا نرجِّح نسبة القطعة لعبد الله بن رواحة .

ويبدو هذا الإيمانُ الخالص في الأبيات التي كان يرتجز بها وهو آخذٌ بخطام ناقة رسول الله ، حين دخل مكة في عُمرة القضاء سنة سبع للهجرة :

خَلُّوا بَنِي الكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ خَلُّوا فكُلُّ الخَيْرِ في رَسولِهِ
يارَبِّ إنّي مؤمنٌ بِقِيلِهِ أَعْرِفُ حَقَّ اللهِ في قَبُولِهِ [2]

بل يصلُ به إخلاصُه لعقيدته إلى حدِّ تمنِّيه الشَّهادةَ حينما بعثَه في الجيش الخارج إلى مؤتة سنة ثمانٍ للهجرة ، وكان الرّسول قد أمّر على هذا البعث زيد ابن حارثة ، وأوصى بأنه إن أصيب فأمير الجيش جعفر بن أبي طالب ، فإن أصيب فالأمير عبد الله بن رواحة ، فلما آن وقت الخروج للغزو قال وهو يتأهّب للمَسير :

---

(١) الاكتفا ، ج ٢ ، ص ١٥٦-١٥٧ ، والإشارة في البيت الثالث إلى قتلى المشركين في غزوة بدر ، وهم عتبة بن ربيعة ، وابنه الوليد ، وأبو جهل عمرو بن هشام .

(٢) الاكتفا ، ج ٢ ، ص ٢٧٣ ، و ورد الرَّجَز كاملا في سيرة ابن هِشام ، ج ٢ ، ص ٣٧١ .